جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

قصيدة الجرّاوي تـ(٦٠٩)هـ "عدوكم بخطوب الدهر مقصود " دراسة بلاغية

إعداد

د. محمد صفوت ممدوح محمد العطار

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون – شرقية

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الرابع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

قصيدة الجرّاوي تـ(٦٠٩)هـ "عدوكم بخطوب الدهر مقصود " دراسة بلاغية

محمد صفوت ممدوح محمد العطار

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالديدامون، شرقية،جامعة الأزهر، مدينة فاقوس، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: *MohammedElattar.sha.b@azhar.edu.eg*

الملخص:

تناولت في هذا البحث قصيدة من شعر الجرّاوي المتوفي سنة ٦٠٩هـ؛ حيث تناولها بالتحليل البلاغي لإبراز ما تميز به هذا الشاعر، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة محاور وخاتمة وفهارس عامة، أما المقدمة فقد ذكرت فيها الأسباب الداعية إلى اختيار الموضوع، والخطة التي قامت عليها تلك الدراسة، وفي التمهيد قمت بتعريف الجرّاوي، ثم قسمت القصيدة الي محاور وفق المعاني الواردة فيهاعلى النحو الآتي: المحور الأول: الدهر من جنود الخليفة.المحور الثاني: خبر ابن اسحاق. المحور الثالث: يوم عظيم. المحور الرابع: مدح الخليفة والدعاء له. وفي الخاتمة تناولت أهم النتائج التي توصل إليه البحث، ثم ذيلت البحث بثبت للمراجع.

الكلمات المفتاحية : قصيدة ، الجرّاوي تـ٦٠٩هـ، عدوكم، بخطوب الدهر، مقصود.

Al-Jarawi's poem, d. *(609)* AH, "Your enemy is intent on the engagements of eternity," a rhetorical study

Muhammad Safwat Mamdouh Muhammad Al-Attar
Lecturer in the Department of Rhetoric and Criticism at the College of Studies Islamic and Arabic for boys in Didamon - Sharqia

Email: *MohammedElattar.sha.b@azhar.edu.eg*

Abstract:

In the conclusion, I discussed the most important findings of the research, then appended the research with references. The first axis: The eternal soldiers of the Caliph-. The second axis: the news of Ibn Ishaq-. Third axis: A great day-. Fourth axis: Praise the Caliph and pray for him-. In this research, I discussed a poem by Al-Jarawi, who died in the year 609 AH. He dealt with it with rhetorical analysis to highlight what distinguished this poet. The research included an introduction, a preface, four axes, a conclusion, and general indexes. As for the introduction, I mentioned the reasons for choosing the topic, and the plan upon which that study was based. In the introduction, I defined Al-Jarawi, then I divided the poem. To the axes according to the meanings contained therein as follows:

Keywords: *Poem , Al-Jarawi d. 609 AH - Your Enemy , With the Engagements of Eternity , Maqsood.*

مقدمة

الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان، فأفصح بعجيب البلاغة و سحر البيان، والصلاة والسلام على من تبوأ من الفصاحة ذروتها، واقتعد من البلاغة مكان صهوتها سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطبيين الطاهرين أطواد العلم الراسخة، ومثاقيل الحِكَم الراجحة . وبعد :

فمن المعروف أنَّ للشعرِ أهميةً عند العرب، ومكانةً عاليةً، فهو بمثابة المرآة التي نرى فيها الأحداث العربية من حروب، ومنازعات، ومفاخ، وغير ذلك، وظل الشعرُ كذلك حتى وصل إلى القرن السادس الهجري، وخاصة في العصر الأندلسي؛ حيث ازدهَرَ الشعرُ فيه ازدهارًا كبيرًا؛ وذلك لأنّه من عصور تألق الأدب، والمدح من أقدم فنون الشعر العربى، ومن أكثرها أصالة وشيوعاً فى البيئة العربية، ويأتى استجابة لما فطر عليه الإنسان من حب الثناء وتسجيل الأمجاد فى مجالات الحياة المختلفة، مثل الشجاعة والكرم والوفاء وسائر قيم الرجولة المألوفة عند العرب .

فقد وصفه قدامة بن جعفر " بأنه أحد الأعلام من أغراض الشعراء "[١] ثم قال " ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب فى وصف زهير: حيث قال: إنه لم يكن يمدح الرجل إلاّ بما يكون للرجال "([٢]) وبذلك يكون " من الواجب أن لا يمدح الرجال إلاّ بما يكون لهم وفيهم "[٣].

---

(١) ينظر :نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى صـ ٩٥ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) السابف صـ ٩٥ .

(٣) السابق صـ ٩٥ .

ولذلك يعد المدح من أبرز أغراض الشعر العربى، فى مختلف عصوره " فهو فن الثناء والإكبار والاحترام الذى يعنى بإبراز صفات الممدوح المادية والمعنوية "[١].

ويعدّ المديح من أهم الأغراض التي تناولها " الجرَّاوي" في شعره، إذ إنّه يشغل حيّزًا كبيرًا من ديوانه، وكان أكثره في مدح الخليفة المنصور، الذي أولى اهتمامه به وقرّبه منه .

ولما كان الجراوي من شعراء الدولة الموحدية [٢] صارت أفكار شعر المدح عنده هي نفس أفكار الشعراء في عصر الدولة الموحدية، فقد«انعكست أصداء الدعوة الموحدية في مدائح الشعراء الأندلسيين بصورة واضحة، فأكثر الشعراء من ترديد الأفكار المتصلة بفكرة المهدوية، فتحدثوا عن عصمة الإمام، وأشاروا إلى صدق دعوته، واستندوا إلى ما ذكر من أحاديث في هذا الشأن، وأنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلما»[٣].

---

(٤) ينظر: كتاب المديح لسامى الدهان ، صـ ٥ ، دار العارف ، الطبعة الخامسة ١٩٥٢ .

(٥) سمي الموحدون بهذا الاسم؛ لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الاعتقاد في المغرب العربي، ويعد القرن السادس بجملته عصر الموحدين في دولة الأندلس والمغرب، إذ بدأت بإعلان محمد بن عبد الله بن تومرت الثورة على المرابطين في سنة ٥١٤هـ، وقد كانت حركته دينية في بادئ الأمر وسرعان ما تحولت إلى سياسية، ومن أشهر حكامها: أبو يعقوب يوسف(الأول)، وأبو يوسف يعقوب (المنصور)، وهما حاكما الفترة التي عاش فيها الشاعر، وقد ازدهرت الثقافة الدينية ونمت في ظلالها حركة التأليف الأدبي في هذا العصر، لا سيما الشعر؛ لعناية الخلفاء به. ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، تحقيق: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٣٦، و ٢٦٩ .

(٣) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ص٩٠.

«وعلى نحو ما صوّر الشعر صراع الدولة السياسي، صوّر أيضًا الأفكار الجديدة التي تبنتها الدولة، فتفاعل مع مبادئ الدولة الموحدية. وعبّر عنها في جوانب شتّى، وطُبع في بعض جوانبه بطابعٍ دينيّ تأثرًا بتلك المبادئ والأفكار، ومن هنا لم تعد قصيدة المدح مجرّد قالب تقليديّ تُصَبُّ فيه المعاني المألوفة، وإنما أصبحت وعاءً كبيرًا يستوعب الحياة السياسية والأفكار الموحدية الجديدة»[١].

«واستحال شعرهم في بعض الأحيان إلى نوع (من الرصد الدقيق) لكل ما يجري أمامهم من أحداث حتى وإن كانت صغيرة .... لا تستدعي الذكر، وخضعوا في هذه الناحية لتوجيه الخلفاء والأمراء، فكانوا ينظمون الشعر في كثير من الأحيان بتكليف منهم وبناء على أوامرهم وتوجيهاتهم، وأخذ الشعر – تدريجيًّا – يؤدّي مهمة الكتابة أو الرسائل الرسمية، فكانت قصائد الشعراء؛ ولا سيما تلك المبشرة بالانتصارات تقرأ على المنابر ويأمر الخلفاء الناس والطلبة ورجال الموحدين عامة بانتساخ الشعر وحفظه وتحفيظه وتدوينه. ومن هنا غدت مهمة شعراء الخلافة في هذا العصر أشبه بمهمة كتّاب الرسائل الرسمية، وهذا ما يفسّر لنا افتقار بعض هذا الشعر إلى "العاطفة" واستحالته أحيانًا إلى ما يشبه "الوثائق التاريخية"»[٢]، «فكأن الشاعر لم يعد إلا صدىً أو رجعًا، أو جهاز استقبال وإيصال»[٣] لما يأمره به الحاكم، وهذا – بالطبع – يجعل من شعره نمطًا مكررًا، بل يذيب الفروق بين أشعار الشعراء جميعًا في هذا العصر.

---

(١) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ص٧٨.

(٢) السابق ، ص٨٠ .

(٣) مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد، دار العودة – بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص٩٥.

ولكن " الجراوي" – مع تكرار هذه الأمور في شعره – كان يختلف بعض الاختلاف عن شعراء عصره في وضوح عاطفته وصدقها؛ كأنه يريد أن يدلّ على أن «الشاعر الحق هو الذي يقدم لنا شعره عالمًا شخصيًّا خاصًّا، لا مجموعة من الانطباعات والتزيينات»[١] التي يحسن الإتيان بها كل ناظم وإن لم يكن شاعرًا.

ولذلك فقد جاء شعره مطبوعًا خاليًا من التكلف؛ لأنّه يقوله عن حب وصدقِ عاطفة، تجده متميزًا بصنعة خفية دقيقة « نحسها بالتذوّق، ولكنا لا نملك القدرة على وصفها، أو التعبير عن كنهها، أو كنه الحسن الذي تخلّفه»[٢].

فوقعت عيني على زهرة له مورقة مونقه وهي (عَدُوّكُم بِخُطُوبِ الدهرِ مقصودُ)، فأخذت أقلب فيها الفكر والخاطر، فأغراني باقتطافها، وشحذ همتى لإدراك رحيقها وعبيرها أمور عدة منها:

(١) أن هذه القصيدة لم تحظ بدراسة بلاغية تحليلية متأنية .

(٢) إخراجُ هذا الشاعر المغمور إلى حيّز النور، كي يستمتع به القراء من محبى الشعر العربي..

(٣) محاولة من الباحث جادة للإنتقال بالدرس البلاغي من مجال النظرية إلى مجال التطبيق .

هذا والبحث جاء في مقدمة وتمهيد وأربعة محاور وخاتمة وفهارس .

ففي المقدمة: بينت الأسباب التي حدت بي نحو اختيار هذا الموضوع، وذكرت الخطة التي قامت عليها تلك الدراسة .

---

(١) السابق،ص١٠٠.

(٢) شعر البحتري: دراسة فنية، د. خليفة الوقيّان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م، ص٢٦٩.

وفي التمهيد: قمت بالتعريف بالشاعر الجرَّاوي.

ثم قمت بتقسيم القصيدة إلى محاور وفق المعاني الواردة فيها إلى :

المحور الأول :- الدهر من جنود الخليفة. **المحور الثاني**:- خبر ابن إسحاق.

المحور الثالث:- يوم عظيم. **المحور الرابع**:- مدح الخليفة والدعاء له.

أمّا عن المنهج الذى سلكته فى هذه الدراسة، فهو المنهج "الوصفي " القائم على التحليل البلاغي للقصيدة، وما ترمى إليه فى ضوء المناسبة التى ولدته، واستنباط الأغراض البلاغية المتعددة فى ضوء الخصوصيات اللغوية الموظفة، ووضع اليد على ما فى الكلام من أسباب الجودة أو غيرها، واستظهار أسباب الجمال أو الخلل والقصور....

الخاتَمة: ذيلت البحث بخاتمة اشتملت على النتائج التي توصل إليها البحث.

وفي الفهارس: قمت بعمل :

١- فهرس للمصادر والمراجع.

٢- فهرس للموضوعات.

هذا ، " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

د/ محمد صفوت ممدوح إبراهيم العطار

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

التمهيد

التعريف بالشاعر :-

هو أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي، نسبة إلى جراوة إحدي قبائل زناتة، من بني عفجوم: بطن من تلك القبيلة، وقد اسستقر الجراوي في مراكش، وفي فاس، وفي الأندلس؛ويبدو أنه كان يفضل مدينة إشبيلية من الأندلس .

– قال عنه صاحب الروض المعطار:" وهي بلد أحمد بن عبدالسلام الجراوي الشاعر الباقعة؛ يقال: أنه مدح عبدالمؤمن وولده يوسف وولده يعقوب وولده محمد الناصر، ومات عام العقاب وهو عام تسعة وست مئة ...."[١].

– وقد أثنى مترجمو الجراوي علي علمه واتساع ثقافته، وروايته، وتنوع رواياته وثقافته وعلومه.

– قال عنه ابن الأبار:" كان عالما، حافظا، بليغ اللسان، شاعرا مفلقا.

– وفي الغصون اليانعة:" هو من شيوخ أدباء المغرب" " رُزِق طول العمر، والجاه، وجالسة الخلفاء: فأول من جالسه منهم عبد المؤمن، ثم جالس أبا يعقوب، ثم جالس المنصور" .

– قال عنه الحميري في الروض المعطار: شاعر بني أمية، وقال أيضا:" كان غيورا على الشعر، حسودا للشعراء، ناقدًا عليهم، غير مسلم لأحد منهم".

---

(١) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)،المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م ص ١٢٧.

– قال عنه صفوان بن إدريس في زاد المسافر: شاعر الخلافة أى خلافة الموحدين أصحاب المغرب والأندلس.

– وقد نقل ابن سعيد في الغصون اليانعة، وعهدي بالخليفة عبدالمؤمن يقول لي في جبل طارق: يا أبا العباس، إنا نباهي بك أهل الأندلس، وقال عنه –أيضا–:" هو أديب المغرب على الإطلاق في زمانه، مع ما له من الإعتداد والإقتدار في التقصيد".

– قال ابن سعيد عنه في الغصون اليانعة: هو من شيوخ أدباء المغرب .

من روى عنهم الجرّاوي:-

قال ابن الأبار في التكملة: أن له رواية عن

– أبي الفضل بن الأعلم هو: جعفر بن محمد بن الأعلم الشنتري، جده أبو الحجاج الأعلم صاحب المؤلفات، كان فقيها وكاتبا وشاعرا، توفي ٤٧٨هـ.

– وأبي العباس بن سيد،هو أحمد بن سيد المعروف بـ(اللص) الكناني الإشبيلي أحد أعلام زمانه، كان مقرئا محدثا متمكنا في النحو واللغة والأدب وكان شاعرا، توفي ٥٧٧هـ.

من رووا عن الجرّاوي:-

قال ابن الأبار في التكملة: رووا عن الجرّاوي

١– أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي، كان فقيها محدثا خطيبا، ولد ٥٥٩هـ، وتوفي ٦١٩هـ.

٢– وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الرعيني الكلاعي من كبار المحدثين، عالم فقيه، مؤرخ ،اديب، شاعر، ولد س ٥٦٥وتوفي س ٦٣٤هـ.

٣– وأبو عبدالله محمد بن عبدالجبار الرُّعيني.

ولقد حظيت شخصية الجرَّاوي بألق الشهرة، وعرف الناس عن الجراوي مزاياه، وطباعه على تعدد الوانها، وسجل المؤرخون بعض اخباره بمناسبات مختلفة.

فقد كان الجراوي معجبا بنفسه، وبشعره، وبعلمه، معتدًا بما عنده، جريئا، يقتحم المواقف، ولا يكتم مشاعره لأي سبب .

وفاته:- قيل إنّه تجاوز الثمانين، وأن وفاته كانت سنة٦٠٩هـ العام الذي جرت فيه موقعة العقاب، التي انهزم فيها الموحدون وكانت بدء انتقاض الأندلس وانهيار دولة الموحدين.

عَدُوُّكُم بِخُطُوبِ الدَّهْرِ مَقْصُودُ [1]

١- عَـدُوّكُم بِخُطُـوبِ الـدَّهْرِ مَقْصُـودُ ... وَأَمْـرُكُم بِاتّصَـالِ النَّصْـرِ مَوعُـودُ

٢- وَمُلْـكُكُم مُسْتَـمِرّ مـا لَـهُ أمَـدٌ ... مـُؤَقّـت دُونَ يَوْمِ الحَشْرِ مَحْـدُودُ

٣- أَلْـقَىٰ عَلَىٰ كُلِّ جَبـّارٍ كَـلَاكِـلَهُ ... كَـأَنَّهُ وَهوُ فِـي الأَحْـيَاءِ مَفْـقُـودُ

٤- رَأَىٰ الشَّـقَاءَ ابْـنُ إِسْـحَاقَ أَحَـقَّ بِـهِ ... مِـنَ السَّـعَادَةِ ، وَالمَحْـدُودُ مَحْـدُودُ

٥- وَكَيْـفَ يَحْظَـىٰ بِـدُنْيَا أَوْ بِـآخِرَةٍ ... مُحَـلأً عَـنْ طَرِيـقِ الْحَـقّ مَطْـرُودُ

٦- أَعْمَـىٰ وَنُـورُ الْهُـدَىٰ بَـادٍ لَـهُ، وَكَـذَا ... مَـنْ لَـمْ يُسَـاعِدْهُ تَوفِيـقٌ وَتَسْـدِيدُ

٧- لَـمْ يُصْـغِ لِلْـوَعْظِ لَا قَلْبًـا وَلَا أُذُنًـا ... وَكَيْـفَ تُصْـغِي إِلَىٰ الْـوَعْظِ الْجَلامِيـدُ؟

٨- لَجَّـتْ ثَمُـودُ وَعَـادٌ فِي ضَـلالِهِمُ ... وَلَـمْ يَـدَعْ صَـالِحٌ نُصْـحًا وَلَا هُـودُ

٩- وَالسَّـيْفُ أَبْلَـغُ فِـيمَنْ لَـيْسَ يَرْدَعُـهُ ... عَـنْ الْغُوَايَـةِ إِيعَـادٌ وَتَهْدِيـدُ

١٠- أَوْلَىٰ لَـهُ، لَـو تَـرَاخَىٰ سَـاعَةً لَغَـدَا ... وَرِيـدُهُ وَهَـو بِـالْخَطّيّ مَـوْرُودُ

١١- أَمَا دَرَىٰ – لَا دَرَىٰ – عُقْبَىٰ عَدَاوَتِهُم ... كُـلٌّ بِحَـدِّ حُسَـامِ الحَـقِّ مَحْصُـودُ

١٢- أَلْقَـىٰ السِّـلَاحَ وَوَلَّىٰ يَبْتَغِـي أَمَـدًا ... يُنْجِيـهِ وَهْـو مُـرَوعُ الْقَلْـبِ مَفْـؤُودُ

١٣- مَـا مَـرّ يَوْمًـا بِبَـابٍ ظَنَّـهُ سَـبَبًا ... إِلَىٰ الـتَّخَلُّصِ إِلَّا وَهُـوَ مَسْـدُودُ

١٤- وَهَبْهُ عَاشَ، أَلَيْسَ الْمَوْتُ أَهْوَنَ مِنْ ... عَـيْشٍ يُخَالِطُـهُ هَـمٌّ وَتَنْكِيـدُ

١٥- أَنْحَىٰ الزَّمَانُ عَلَىٰ الأَعْزَازِ وَاجْتَهَدَتْ ... فِي قَطْـعِ خَضَـرَاتِهِم أَحْدَاثُـهُ السُّـودُ

١٦- وَنَـازَعَتْهُم سُـيُوفُ الْهِنْـدِ أَنْفُسَـهُم ... فَلَـمْ يُفِـدْهُم عَلَـىٰ الْهَيْجَـاءِ تَعْـرِيدُ

١٧- فَهُـم عَلَىٰ التُّرْبِ صَرْعَىٰ مِثْلُـهُ عَـدَدًا ... إِنْ كَـانَ يُقْضَـىٰ بِـأَنَّ التُّـرْبَ مَعْـدُودُ

---

(١) ديوان الجراوي ص ٧١.

١٨- وَلَّو، فَلَا صَاحِبٌ عَنْ نَفْسِ صَاحِبُهِ يُغْنِي ، وَلا وَالِدٌ يَرْجُوهُ مَوْلُودُ

١٩- يَوْمٌ جَدِيرٌ بِتَعْظِيمِ الأَنَامِ لَهُ فَمَا يُقَاسُ بِهِ فِي حُسْنِهِ عِيدُ

٢٠- أَضْحَتْ عَلَىٰ فَضْلِهِ الأَيَّامُ تَحْسِدُهُ إِنَّ النَّبِيهَ الرَّفِيعَ الْقَدْرِ مَحْسُودُ

٢١- إِذَا حَمَىٰ الأَسَدُ الْغَضْبَانُ رَابِيَةً لَمْ يَفْتَرِسْ ثَعْلَبٌ فِيهَا وَلَا سِيدُ[1].

٢٢- أَنْتُم سُلَيْمَانُ فِي الْمُلْكِ الْعَظِيمِ ، وَفِي طُولِ التَّهَجُّدِ فِي الْمِحْرَابِ دَاوُودُ

٢٣- قَدْ أَبْهَجَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا مَقَامُكُم وَكَيْفَ لَا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ مَحْمُودُ؟

٢٤- جَارَىٰ مَنَاقِبَكُم شِعْرِي فَقَصَّرَ عَنْ بُلُوغِ أَدْنَىٰ مَدَاهَا وَهُوَ مَجْهُودُ

٢٥- مَنْ لَيْسَ مُعْتَقِدًا إِيجَابَ طَاعَتُكُم فَلَيْسَ يُغْنِيهِ إِيمَانٌ وَتَوْحِيدُ

٢٦- رِضَاكُم الدِّينَ وَالدُّنْيَا، وَعَدْلُكمُ ظِلٌّ ظَلِيلٌ عَلَىٰ الأَيَّامِ مَمْدُودُ

٢٧- دُمْتُمُ حَآَةً بَنِيْ الدُّنْيَا وَدَامَ لَكُمْ نَصْرٌ وَفَتْحٌ وَتَمْكِينٌ وَتَأْيِيدُ

(١) سيد: السِّيدُ: الذئب، وربما سمي به الأسد.

مناسبة القصيدة

قيلت هذه القصيدة في مدح الخليفة المنصور عقب انتصاره على (علي ابن إسحاق بن محمد بن غانية)، أرسل إليه المنصور يستدعي بيعته، فأنف من ذلك وأساء الردّ واحتال على الرسل حتى اعتقلهم وأودعهم في السجون، فانتفض لذلك المنصور وأرسل إليه الجيش بقيادة ابن عمه، فلما لم ينتصر الجيش ذهب إليه بنفسه فحقق الانتصار[١].

(١) ينظر الروض المعطار ٥٦٨ مادة ميورقة.

محاور القصيدة

المحور الأول
الدهر من جنود الخليفة

المحور الثاني
خبر ابن إسحاق

المحور الثالث
يوم عظيم

المحور الرابع
مدح الخليفة والدعاء له

المحور الأول

الدهر من جنود الخليفة

يقول أبو العباس الجراوي :-(من البسيط)

١- عَدُوُّكُمْ بِخُطُوبِ الدَّهْرِ مَقْصُـــــــــودُ وَأَمْرُكُمْ بِاتِّصَـــــالِ النَّصْـــرِ مَوْعُـــودُ

٢- وَمُلْـكُـكُمْ مُسْتَـــمِرٌّ مَـا لَـــــــهُ أَمَـدٌ مُـــؤَقَّـــت دَونَ يَـــــوْمِ الْحَشْرِ مَحْدُودُ

٣- أَلْـقَـــىٰ عَـــلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ كَـلَاكِـلَـــهُ كَـأَنَّـــهُ وَهُـــوَ فِـي الْأَحْـــيَاءِ مَفْـقُـودُ

بدأ الشاعر قصيدته بالأسلوب الخبري: (عدوكم بخطوب الدهر مقصود)، ليقرر حقيقة لا شك فيها، ولذلك عمد إلى الخبر من غير توكيد لأنّه كان، ورآه الجميع رأي العيان.

وإفراده لفظ (عدو) فيه من النباهة ما فيه، وذلك أنه أشعرنا أن هذا العدو شخصٌ واحد وإن تعددت أشكاله، إنّما هو المارق عن اتباع سبيل الهدى، الكافر بالله وبرسوله، وكذلك أشعرنا بإفراد لفظ (عدو) أن أولئك الأعداء مهما كثروا فهم قليل لا يتجاوز عددهم فردًا واحدًا، ومما زاد اللفظ جمالاً أنّه جعل ضمير المخاطب جمعًا فقال: (عدوكم)، ولم يقل : عدوك، مع أن المخاطب واحد، هو الملك المنصور، وفيه ما لا يخفى من التعظيم لهذا الملك، ولكنه فيه ما يربو على هذا التعظيم بإفراده لفظ (عدو)، فكما أن هذا العدو على كثرته فردٌ واحد، فالملك المنصور بمفرده جمعٌ كثير يستطيع أن يقهر هذا العدوّ قهرًا.

وليس هذا كل ما في كلمة (عدوكم) من جمال، وإنما الجمال الباهر في تقديم خبر العدو في صدر القصيدة،؛ لأنّه بعد هزيمته صار مسخة ومجالاً للسخرية والتهكم، فإذا ذِكره في كل مقام يجلب البسمة في وجوه الأنام .

ثم جعل مآل هذا العدو إلى الدهر يقصده بخطوبه التي لا يسلم منها أحد، وإن سلم فإنما هو كما قال نابغة بني جعدة:

فقد أبقت خطوب الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني[1]

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ١/١٢٤ .

يعني أنها فلّت حدّه فلم يعُد نافعا .

ولا يخفى أن تقديم الجار والمجرور (بخطوب الدهر) على متعلقه الذي هو اسم المفعول (مقصود) يفيد الاختصاص، فخصّ قصد العدو بخطوب الدهر لا غير.

والشطر الثاني في هذا البيت يؤكد ما رميت إليه، من أن هذا العدوّ قد تأهب له الدهر بخطوبه، يرميه بها كلما رام عداءً للملك المنصور؛ لأنّه جندٌ من جنوده ينتظر الأمر فيستجيب، والجملة استعارة مكنية يكمن سر جمالها في تشخيص الدهر وجعله راميًا يقصد العدو بخطوبه.

ثم قال : (وأمركم باتصال النصر موعودُ) آثرتُ أن أفهم دلالة كلمة (أمركم) على أنها مصدر الفعل "أمر"، لا أنها الاسم الذي بمعنى الشأن؛ لأنّه لا يقال: شأنكم موعود بالنصر، وإنّما يقال : جيشكم موعود بالنصر، وإذا كان هذا صحيحًا، فقد أطلق الشاعر هذا اللفظ على سبيل المجاز المرسل علاقته السببية، فأطلق السبب وأراد المسبب، فأمر الملك سبب لزحف الجيش، والجيش لا يزال منصورًا ما دام متبعًا لأمر المنصور.

وإذًا فقد آثر الشاعر المجاز على الحقيقة؛ ليجعل خطوب الدهر من مدلولات الأمر؛ لأنه لو قال: وجيشكم باتصال النصر موعود، لم يُفهم منه أن خطوب الدهر جندي من جنود هذا الجيش، فضلا عن أن يكون خاضعًا للملك مستجيبًا لأوامره.

ولم يرض الشاعر أن يكون أمر الملك موعودًا بالنصر فحسب، بل موعودًا بالنصر المتواصل، فمتى أمر بخروج الجيش عاد الجيش منتصرًا، وفيه أيضًا تحفيز للملك على مواصلة الغزو وقهر الأعداء.

وبهذا المطلع استطاع الشاعر أن يدل على مضمون قصيدته كلّها، ولذلك قال أحد الشعراء: « المطلع في القصيدة يزعجني؛ لأنّه باب القصيدة، عليه أن يكون

موحيًا بما سيأتي»[١]، وهو ما حققه الشاعر هنا ببراعة واقتدار، فضلاً عن التصريع الذي يدلّ على تمكّن الشاعر من أداته.

ثم أعقب ذلك بقوله:

٢- وَمُلْكُكُمْ مُسْتَمِرٌّ مَا لَهُ أَمَدٌ..... مُوَقَّتٌ دُونَ يَوْمِ الْحَشْرِ مَحْدُودُ

وصل هذا البيت بسابقه؛ لأنّه من تمام معناه فقال:(ملككم)؛ حيث أضاف المُلك لهم لملازمتهم إياه، وكأن هذا المُلك لا ينفك ولا يتحول عنهم إلى أحد غيرهم، وذلك بطريق المجاز العقلي الذي علاقته إضافة الشئ إلى الملازم له، وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى باستخدام اسم الفاعل (مستمر)،والذي بطبيعته يدل على الثبوت والدوام، ثم أعقب هذا مؤكدا بقوله: (ما له أمد مؤقت)، فهذا تأكيد بعد تأكيد ورفع لتوهم المجاز بأنه يقصد لزوم الملك مدة طويلة، فأتى بهذه الجملة لغرض الاحتراس.

وأما قول الشاعر: (دون يوم الحشر محدود)،فيرى البحث أنه نوع من التطويل؛ إذ كان يمكن الاكتفاء بالجملة التى قبله في: (ما له أمد مؤقت).

٣-أَلْقَى عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ كَلَاكِلَهُ.... كَأَنَّهُ وَهُو فِي الْأَحْيَاءِ مَفْقُودُ

في البيت يصور الشاعر بقوله:(ألقى على كل جار كلاكله)، هيئة ملكهم وسلطانهم، وقد انتشر في كل مكان وملأ الأرجاء بهيئة الناقة العظيمة التي أتت على الشئ تحتها، فما عاد يطمع الخلاص منها والجامع هنا، هيئة الشئ الضخم العظيم

(١) الشاعر والقصيدة: حوار مع الشاعر التونسي منصف المزغّني، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية (دراسات سال)، العدد الخامس – خريف – شتاء ١٩٩١م، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء – المغرب، ص١٣٤.

الذي يأتي على غيره فلا يستطيع الخلاص أو الإفلات منه، وذلك على سبيل الاستعارة التمثلية.

وفي قوله: (كأنّه وهو في الأحياء مفقود)، تشبيه تمثيلي؛ حيث شبه حال الذي يكون تحت سلطانهم ولا يقوى على فعل شيء بحال المفقود الذي نساه الناس وما عادوا يذكرونه، ووجه الشبه هو الحال الدالة على انتهاء الشيء وانطماس ذكره.

المحور الثاني

خبر ابن إسحاق

٤- رَأَىٰ الشَّقَاءَ ابْنُ إِسْحَاقٍ أَحَقُّ بِـــــهِ ... مِنَ السَّعَادَةِ وَالْمَحْدُودُ مَحْـــــدُودُ

٥- وَكَيْفَ يَحْظَىٰ بِدُنْيَا أَوْ بِآخِـــــرَةٍ ... مخلأً عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مَطْـــــرُود

٦- أَعْمَىٰ وَنُورُ الْهُدَىٰ بَادٍ لَهُ، وَكَـــــذَا ... مَنْ لَمْ يُسَاعِدْهُ تَوْفِيقٌ وَتَسْدِيـــــدُ

٧- لَـــــمْ يُصْـــغِ لِلْوَعْظِ لَا قَلْبًا وَلَا أُذُنًا ... وَكَيْفَ تُصْغِي إِلَىٰ الْوَعْظِ الْجَلَامِيـدُ؟

٨- لَجَّتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ فِي ضَلَالِهُـــــم ... وَلَمْ يَدَعْ صَالِحٌ نُصْحًا وَلَا هُـــــودُ

٩-وَالسَّيْفُ أَبْلَغُ فِيمَنْ لَيْسَ يَرْدَعُـــــهُ ... عَنِ الْغِـــــوَايَةِ إِبْعَـــادٌ وَتَهْدِيـــد

١٠- أَوْلَىٰ لَـــــهُ، لَوْ تَرَاخَىٰ سَاعَةً لَغَـــدَا ... وَرِيدُهُ وَهُوَ بِالْخَطِّي مَـــــوْرُودُ

١١-أَمَا دَرَىٰ -لَا دَرَىٰ -عُقْبَىٰ عداوتكـــم ... كُلٌّ بِحَدِّ حُسَامِ الْحَقِّ مَحْصُـــــودُ

١٢-أَلْقَىٰ السِّلَاحَ وَوَلَّىٰ يَبْتَغِي أَمَـــــدًا ... يُنْجِيهِ وَهْوَ مَـــــرُوعُ الْقَلْبِ مَفْؤُود

١٣- مَـــا مَـــرَّ يَوْمًا بِبَابٍ ظَنَّـــهُ سَبَبًا ... إِلَىٰ التَّخَلُّصِ إِلاَّ وَهُـــوَ مَسْـــدُودُ

١٤- وَهَبْهُ عَاشَ أَلَيْسَ الْمَوتُ أَهْـــوَنَ مِنْ ... عَيْشٍ يُخَالِطُـــهُ هَمٌّ وَتَنْكِيـــــدُ

بدأ الشاعر في هذا المحور يفصل خبر هذا العدوّ الذي عاداه الدهر وقصده بخطوبه؛ لأنّه عادى الخليفة، فقال:

٤- رَأى الشَّقاءَ ابنُ إسحاقٍ[1] أحقَّ به ... مَن السَّعَادَةِ ، وَالْمَحْدُودُ مَحْدُودُ

وهنا قدّم الشاعر المفعول الأول (الشقاء) للفعل (رأى) على الفاعل (ابن إسحاق)؛ ليفيد الحصر، أي أن ابن إسحاق لم ير إلا الشقاء حقيقًا به، وفي ذلك تهكم بالغ، إذ لا يمكن لأحد من الناس مهما سخف عقله أن يرى الشقاء أحق به من

---

(١) وابن إسحاق هذا هو" على بن اسحاق بن محمد بن غانية " أرسل إليه المنصور يستدعى بيعته ، فأنف من ذلك وأساء الرد واحتال على الرسل حتى اعتقلهم وأودعهم فى السجون، فانتفض لذلك المنصور وأرسل إليه الجيش بقيادة ابن عمه ، فلما لم ينتصر الجيش ذهب إليه بنفسه فحقق الانتصار، ينظر: الروض المعطار صـ٥٦٨ مادة ميورقة .

السعادة، ولكنه لما عادى المنصور أوقع نفسه في المهالك، فكان كمن فضّل الشقاء على السعادة، «بمعنى أن فاعل السوء لا يلم دائمًا بعواقب فعله، أو أنه يُرغم عليه، أو يظن به منفعة»[١]، ولذلك قال الشاعر: (والمحدود محدودُ)، أي المحدود في تفكيره محدود في تصرفاته وأفعاله.

ثم قال:

٥- وَكَيْفَ يَحْظَى بِدُنْيَا أَوْ بِآخِرَةٍ مُخَلأَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مَطْرُودُ

وليقرر الشاعر هذا المعنى، ساق البيت الثالث بأسلوب الاستفهام المجازي، «وكلمة الاستفهام التي جاءت في البيت هي كلمة "كيف" التي تبعث الخواطر الداعية إلى معرفة الحال، في الحدث الذي تناولته جملتها»[٢]، وهي إلى ذلك مفيدة للإنكار والتعجب خير إفادة؛ لأنّها تشغل السامع بتتبع السبل الموصلة إلى وقوع الحدث حتى يعلم أنه غير ممكن وقوعه، ومع أن الفعل (يحظى) جاء بصيغة المضارع ، «فقد سُلب الدلالة على الحاضر والمستقبل لأنه لم يقع»[٣]، ولن يقع.

وجاء متعلق الفعل (بدنيا أو بآخرة) مقدمًا على الفاعل؛ للتشويق إلى ذكر الفاعل، وجاء بالمجرورين منكرين لخفض المنزلة، فهو يريد أنه لا يمكن أن يحصل على درجة في الدنيا أو الآخرة، ولو أدنى درجة.

---

(١) تأملات حول مفاهيم مصطلحات وخطة الوقاية من المخاطر الطبيعية في التراث العمراني الإسلامي، نجاة أحمد عروة، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية، دبي، السنة ١٩، العدد ٧٣، ربيع الآخر ١٤٣٢هـ – مارس ٢٠١١م، ص١٥٤.

(٢) القوس العذراء وقراءة التراث، د. محمد أبو موسى، ص٢٧، بتصرف .

(٣) تفسير جديد لأزمنة الفعل عند سيبويه، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – مصر، دار المدني – جدة، د.ط، ١٩٨٧، ص١٢.

وقد عدل الشاعر عن ذكر الفاعل الذي شوّق السامع إليه، فحذفه وأثبت صفته؛ لأنّ الصفة هنا هي التي صنعت الحكم، وقد ذهب بعض العلماء إلى «أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه على كل حال قبيح، وهو في بعض الأماكن أقبح منه في بعض، وهو مع الفاعل أشد قبحاً منه مع المفعول»[(١)]، ويرى البحث أن هذا الحكم غير مطّردٍ؛ لاختلاف مواطن الكلام، ولو كان مطّردًا لما وقع في كتاب الله منه شيء.

هذا، وقد جاءت لفظة (محلأ) في أخر البيت؛ لتناسبها مع الوصف الثاني في آخر البيت (مطرود)، فجاء هذان الوصفان ليدلا على أن هذا الكائن ليس له إرادة، بل شبيه بالماشية إذا مُنعت عن ورود الماء، وبذلك ظهر أثر حذف الفاعل جليًّا، فقد أراد الشاعر أن يُشربه من معنى الحيوان بهذا الإبهام، فأصبحت كلمة (محلأ) لها معنىً جليل عند الوقوف عليها.

٦- أَعْمَى وَنُورُ الهُدَى بَادٍ لَهُ، وَكَذَا مَنْ لَم يُسَاعِده توفيقٌ وتسديدُ

في هذا البيت تعمّد الشاعر حذف المسند إليه للإسراع إلى المقصود، والتقدير (هو أعمى)، ثم جاء بالجملة الحالية (ونور الهدى بادٍ له)، ليدلّ على أنّ هذا العمى عمى بصيرة لا عمى بصر، كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[(٢)]، فصار لتشبيه الهدى بالنور معنىً مناسبًا للعمى من كل وجه، ولكنّ الذي لا أراه سديدًا هنا مجيء الجار والمجرور (له) متعلقًا باسم الفاعل (بادٍ)، إذ كيف يكون أعمى وقد بدا النور له؟ إلا أن يكون من قبيل قوله تعالى

(١) إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م، ٣٢٩/١.

(٢) من الآية ٤٦، سورة الحج.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾[1]، فيكون الجار والمجرور تعريضًا باتباعه هواه مع علمه بالحق، وحينئذ تكون جملة (وكذا من لم يساعده توفيق وتسديد) تأكيدًا على هذا المعنى.

٧- لَمْ يُصْغِ لِلْوَعْظِ لَا قَلْبًا وَلَا أُذُنًا وَكَيْفَ تُصْغِي إِلَى الوَعْظِ الْجَلامِيدُ؟!

فصل الشاعر هذا البيت عن سابقه لشبه كمال الاتصال، إذ اقتضى البيت السابق سؤالاً مفاده: كيف يعمى عن نور الهدى الذي بدا له؟ فجاء هذا البيت ليجيب عن هذا السؤال بأنّه (لم يصغ للوعظ) نافيًا المضارع بـ(لم)، ليوحي بأنّه كان ينبغي عليه أن يصغي ولكنه لم يفعل، ثمّ نفى عنه الإصغاء من جميع سُبله، فقال: (لا قلبًا ولا أذنًا)، ليدلّ على بلوغه الغاية في الإعراض والجهل، ولذا بالغ في هذا الوصف الذي أتى به عن طريق التشبيه الضمني (وكيف تصغي إلى الوعظ الجلاميدُ) مشبهًا إياه بالصخر لا يمكن أن يصغي إلى الوعظ ولا غيره، ولذلك صاغ الجملة بأسلوب الاستفهام الإنكاري مصدرًا إياه بـ (كيف) ليبعث النفس على تطلب السبل الموصلة إلى وقوع الحدث حتى تُسلّم باستحالة وقوعه.

٨- لَجَّتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ فِي ضَلالِهُم وَلَمْ يَدَعْ صَالِحٌ نُصْحاً وَلَا هُودُ

وقد فصل هذا البيت -أيضًا- عن سابقه لاحتمال اعتراض مفاده : لعلكم قصرتم في نصحه أو لعل نصحكم لم يكن بالغ الأثر فيه لعلة في النصح ذاته، ثم قاتلتموه قبل أن تقيموا عليه الحجة، فأتى بهذا البيت على سبيل التشبيه التمثيلي؛ ليضرب مثلا بعادٍ وثمود، كيف كان هود وصالح عليهما السلام ينصحانهم ولا يقصرون، ولكن الله طبع على قلوبهم فأصمهم وأعمى أبصارهم.

---

(١) من الآية ٢٣، سورة الجاثية.

فبين أن عادًا وثمود قد أصرّوا على العناد والمكابرة ، فلجوا (في ضلالهم) «و (في) [هنا] للظرفية المجازية المراد منها معنى السببية»[(١)]، أي بسبب ضلالهم.

٩-وَالسَّيْفُ أَبْلَغُ فِيمَنْ لَيْسَ يَرْدعُه عَنِ الْغِوَايَةِ إِبْعادٌ وَتَهْدِيدُ

جاء هذا البيت متممًا للبيت السابق؛ فقد ساقهما الشاعر ليدلّ على أن أولئك الغواة من أمثال ابن إسحاق يستحقون القتل؛ لأنّهم لا يرتدعون بالوعيد والتهديد.

وقوله: (والسيف أبلغ) أي أبلغ أثرًا، وقد حذف المفضول بعد اسم التفضيل؛ لأنّه كالمذكور، أي: والسيف أبلغ من النصيحة، وقد عبّر عن القتل أو القتال بـ(السيف) على سبيل المجاز المرسل علاقته الآلية؛ لأنّ السيف آلة القتل، وقد عدَل عن اللفظ الأصلي ليكون أدقّ في التعبير وأشمل؛ فمن الناس من يخاف لمجرد إشهار السيف دونما قتال.

وقد عدّى اسم التفضيل (أبلغ) بحرف الجر (في)؛ لأنّه أراد: أبلغ أثرًا، وأتى بالمجرور اسم موصول (في من) ليُعرفه من خلال صفته، ونفى الفعل المضارع (يردع) بـ (ليس) ليكسب المضارع صفة الزمان المطلق، فيدلّ به على أن هذا الأمر صفة ملازمة له، وأتى بالفاعل (إبعادٌ) نكرة لتعظيم شأنه.

ثم ذكر لفظة (إبعاد) لكونها أليق بالمعنى وأنسب؛ لأنّه عطف عليها (تهديد)، وهو من باب عطف المترادفات للتأكيد.

١٠- أَوْلَى لَهُ، لَوْ تَرَاخَى سَاعَةً لَغَدَا وَرِيدُهُ وَهُوَ بِالْخَطِّيِ مَورُودُ

صدّر هذا البيت بالدعاء عليه، فقال:(أَولى له)، وهذه الجملة « وعيد بمعنى: ويل له، وهو أفعل: من الولي وهو القرب. ومعناه الدعاء عليه بأن يليه المكروه»[(٢)]،

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/١٠٠.

(٢) الكشاف، ٤/ ٣٢٤، بتصرف.

« وقال الجرجاني: هو في هذا الاستعمال مشتق من الويل. فأصل أولى: أويل، أي أشد ويلا، فوقع فيه قلب، ووزنه أفلع. وفي «الصحاح» عن الأصمعي ما يقتضي: أنه يجعل (أولى له) مبتدأ محذوف الخبر. والتقدير: أقرب ما يهلكه، قال ثعلب: ولم يقل أحد في (أولى له) أحسن مما قال الأصمعي. واللام في (له) إما مزيدة، أي أولاه الله ما يكره .. وإما متعلقة بأولى على أنه فعل مُضي»[(١)]، ولما كانت هذه الجملة للدعاء، فصل بينها وبين ما بعدها لكمال الانقطاع، فهذه إنشائية وتلك خبرية، فلا يجوز هنا العطف بينهما.

والجملة الخبرية هنا هي الجملة الشرطية (لو تراخى.. لغدا ..)، صدّرها بحرف الشرط (لو)؛ ليشعر بأنّ هذا الأمر مرغوب فيه لكنه لم يحدث، وكثيرًا ما تخرج (لو) من معنى الشرط إلى معنى التمني، «وفسرها سيبويه بأنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وفسرها غيره بأنها حرف امتناع لامتناع»[(٢)]، فقتلُ هذا الرجل – وهو الذي يتمناه الشاعر – كان يتطلب منه أن يتراخى ساعة، ولكنه هرب فلم يُقتل.

وجاء جواب الشرط مقترنًا بلام التوكيد؛ ليدلّ على اليقين من إمكانية حدوثه، ثم جاءت جملة الجواب (لغدا وريده وهو بالخطي مورود) كناية عن القتل؛ لتصف صورة القتل التي يتمناها الشاعر له، ولذلك أتى بجملة الحال مربوطة بالواو، ليري السامع صورة بعد صورة، فيشعر بالتفصيل الذي يتخيله الشاعر ويريد أن يتلذذ بوقوعه،« وكل جملة جاءت حالا، ثم اقتضت "الواو"، فذاك لأنك مستأنف بها خبرا، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات.» [(٣)]،«ولما كان المعنى على استئناف

---

(١) التحرير والتنوير ١٠٩/٢٦، بتصرف.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م، ٤٧/٤.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٢١٣.

الإثبات، احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى.. وتسميتنا لها" واو حال"، لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة» [١]، وهذا ما أراده الشاعر بهذا الربط، وذلك لأنه يريد أن يتلذذ بتخيله، فأتت الصورة في هذا الحسن الذي زانه الجناس الاشتقاقي بين (وريد ، مورود)، وتقديم الجار والمجرور (بالخطّيّ) على متعلّقه (مورود)، فضلاً عن ما في كلمة (الخطّي) من طول في اللفظ لما فيها من حرفي الطاء والياء المشددين، وكذلك قلة الزحافات في هذا البيت، مما يدلّ على أن الشاعر يريد لبيته هذا وقتًا أطول ليكسب السامع تعمقًا في الصورة أكثر، وبذلك بدا أن هذا البيت « يبين عن وجه آخر للشاعر، حيث يجعله يكشف عن سريرته، ويجعل الآخر الذي يتلقى قصائده يكشف أيضًا عن باطنه»[٢].

١١-أما درى -لا درى -عقبى عداوتكم كلٌّ بحدِّ حُسامِ الحقِّ محصُودُ

في هذا البيت يستنكر الشاعر ما فعله ابن إسحاق ويتعجب من أمره، كأنّه لم يدر عاقبة عداوة المنصور، فخرج الاستفهام (أما درى) إلى معنى التعجب والإنكار التوبيخي؛ ليدلّ على أنّها معلومة لدى الجميع، لا يغفل عنها إلا جاهل، ولذا اعترض بين الفعل (درى) ومفعوله (عقبى) بالجملة الدعائية (لا درى) وقد حذف منها المفعول به للعموم والشمول، وهي جملة تدل على مدى بغض الشاعر له، فهو يدعو عليه بألا يكون لديه دراية أصلاً، كأنه قال: لا كانت منه دراية[٣].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٢١٤.

(٢) عن الشعر في زمن اللا شعر، د. رشيد بنحدو، ص٤٥.

(٣) لمزيد من البيان في هذا الأمر، ينظر مسألة الفعل الذي لا يتعدى فاعله، في : الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ١/٣٤، ٣٥ .

ولكيلا يكون ثمة أعمى آخر، لا يدري عقبى عداوة المنصور، أظهرها الشاعر عيانًا للجميع، فقال: (كل بحد حسام الحق محصودُ)، ففصل هذه الجملة عن سابقتها؛ لأنّها استئناف بياني فسّر به هذه العاقبة.

والتنوين في (كلٌّ) عوضٌ عن المضاف إليه، أي كلّ عدوّ، وقد عدل الشاعر عن ذكر المضاف إليه هنا؛ ليكون عامًّا، فيقع الرعب في قلب كل من يفكر في معاداة المنصور، ثم أتى بالخبر (محصودُ) اسمًا ليكون في صورة الدائم، فيشمل الحاضر والمستقبل.

هذا، وقد لعبت الاستعارة في قوله: (محصود) دورًا فعالاً في تصوير المعنى، حيث جعلت الأعداء وقد قتلوا وملأت جثثهم الأرض، جعلتهم نبتًا محصودًا؛ لأنّه خرج عن طوره وآن أوان حصاده، فالتعبير عن القتل بالحصاد هنا بيّن كيف تمادى هؤلاء الأعداء في عداوتهم، وأن تأخر المنصور عن قتلهم لم يكن إلا لأنّه ينتظر الوقت المناسب، وأنّ قتلهم كان خيرًا للأمة جميعًا، إذ لا يُنتظر من الحصاد إلا الخير. وإيراد السيف هنا بلفظ الحسام أريد به حسم الأمر، وإضافته إلى الحق تعريضٌ بالأعداء؛ لأنّهم حينئذٍ هم الباطل، وإذا جاء الحق فقد زهق الباطل.

١٢-ألقى السلاحَ وولى يبتغي أمدا يُنجيهِ وهوَ مَروُعُ القَلبِ مفؤود

هذا البيت مرتبط بالبيت الثامن؛ حيث كانت أمنية الشاعر أن يتراخى ابن إسحاق ساعة ليلقى حتفه بحد حسام الحق، كما لقيه أتباعه، ولكنه (ألقى السلاح)؛ لأنّه لم يعد له قيمة، فهذه الجملة كناية عن الرعب والذعر الذي أحاط بابن إسحاق، (وولى يبتغي أمدًا) أتى بجملة الحال غير مقتضية للواو الرابطة؛ لأنّه أراد أن يضمها إلى الفعل في إثباتٍ واحد، ثم أتى بجملة الحال الثانية (وهو مروع القلب مفؤود) مقتضية للربط بالواو؛ لأنّه أراد أن يثبت بها خبرًا جديدًا غير موصول بالجملة

الأصلية[١]، وإضافة اسم المفعول (مروع) إلى (القلب) جعله يتلبس بمعنى الصفة المشبهة، فصار صفة لازمة، ولو قال: (وقلبه مروع) لم يفد ذلك، ثم زاد له صفة أخرى (مفؤود)؛ ليدل على تمكن الرعب منه.

١٣- ما مر يوماً ببابِ ظنّهِ سبَباً إلى التخلصِ إلا وهوَ مَسدودُ

ولمزيدٍ من التفصيل، أراد الشاعر أن يبين أنّ هروب ابن إسحاق غير نافع له، فقال هذا البيت، وهو كناية عن عزوف الناس عنه وتبرؤهم منه، فكنّى عن كلّ امرئ لجأ إليه ابن إسحاقٍ بالباب، ثم جعل كون هذا الباب سببًا للخلاص إن هو إلا توهم منه، ولذلك قال: (ظنّه سببًا إلى التخلص)، وأتى بكلمة (سببًا) نكرة؛ ليدلّ على أنه كان يتوهم أنّ أسباب التخلص كثيرة، وقد صاغ الجملة بطريق النفي ليمكّن المعنى ويثبته في النفس، فإن « من طرق التشويق لتثبيت المعاني وتمكينها فى النفوس النفي، لأن النفس تتطلع عند وقوع النفي إلى معرفة أسبابه، وتشغل بالبحث فى مضمون الجملة التى وقع فيها النفي، وهذا من شأنه تأكيد المعنى وتمكينه »[٢]، ثمّ أتى بجملة الحال (وهو مسدودُ) مسبوقًا بحرف الاستثناء (إلا)؛ ليفيد القصر بهذا الاستثناء المفرغ، وليدلّ على أنه تأخر حتى افتضح أمره بين الناس .

١٤- وهبهُ عاش أليس الموتُ أهونَ من عيشٍ يخالِطُه همٌّ وتنكيدُ

ولما كان الهلاك محققًا لابن إسحاق لأنّه لا يجد سبيلاً للخلاص، افترض الشاعر نجاته ليبين أنها غير نافعة له، بل الموت أهون منها، فقال: (وهبه عاش) مخاطبًا سامعه بعد أن رأى الصورة واضحة أمامه،(أليس الموت أهون من ...) صاغ الجملة بهذا الاستفهام التقريري؛ لتكون حقيقة لا شك فيها، وليؤنس المنصور وأتباعه ويُطمئن قلوبهم بهذا النجاة التي هي أشد وطأ من الموت، فعدل عن تسمية

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢١٣.

(٢) التشويق فى الحديث النبوي الشريف د/ بسيونى فيود ص ٧٣ .

نجاته حياة وسماها عيشًا، ثم وصف العيش بأنّه (يخالطه هم وتنكيد) فأصبح المضارع (يخالطه) بصورته المتجددة مفيدًا للملازمة، وجاء الفاعل (همٌّ) ومعطوفه (تنكيد) نكرتين ليفيدا تهويل الأمر وتفخيمه.

هذا، وللمتنبي في هذا المعنى بيتٌ هو أروع من هذا صياغة، ألا وهو قوله:

ذلّ من يغبطُ الذليل بعيشٍ رُبّ عيشٍ أخفّ منه الحِمامُ[١]

فصاغ المعنى بتقديم (رُبّ) التي تفيد التقليل، ولم يصف كلمة (عيشٍ) بشيء، لتذهب النفس فيه كل مذهب، ثم جعل جملة النعت مقدمًا فيه الخبر عن المبتدأ لتكون كلمة (الحِمام) مقطع البيت ومنتهاه فتؤثر في سامعها أشد تأثيرٍ وأروعه.

(١) ديوان المتنبي، المكتبة الثافية – بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص١٦٤.

المحور الثالث

" يوم عظيم "

١٥- أَنْحَىٰ الزَّمَانُ عَلَىٰ الأَعْـــدَاءِ وَاجْتَهَدَتْ ... فِي قَطْـــعِ خَضَرَاتِهِـــم أَحْدَاثُهُ السُّوُدُ

١٦- وَنَازَعَتهُم نُفُـــوسُ الهِنْدِ أَنْفُسَهُـــــم ... فَلَمْ يُفِدهُـــــم عَلَىٰ الهَيْجَاءِ تَعْـــرِيدُ

١٧- فَهُـــــم عَلَىٰ التُّرْبِ صَرْعَىٰ مِثْلُهُ عَدَدًا ... إِنْ كَانَ يُقْضَىٰ بِأَنَّ التُّرَب مَعـــــدُودُ

١٨- وَلَّوا فَلا صَاحِبٌ عَنْ نَفْسِ صَاحِبِـــــه ... يُغْنِي وَلَا وَالِـــدٌ يَرْجُـــوهُ مَولُـــــودُ

١٩- يَـــومٌ جَدِيرٌ بِتَعْظِـــيمِ الأَنَـــــامِ لَـــهُ ... فَمَـــا يُقَاسُ بِهِ فِي حُسْنِـــــهِ عِيدُ

٢٠- أَضحَت عَلىٰ فَضْلِـــــهِ الأَيَّامُ تَحْسِدُهُ ... إِنَّ النَّبِيهَ الرَّفِيـــعَ القَـــدْرِ مَحْسُودُ

٢١- إِذَا حَـمَىٰ الأَسَـدُ الْـغَضْبَانُ رَابِـيـةً ... لَـــمْ يَفْتَرِس ثَعْـلَبٌ فِيـــهَا وَلَا

ولما أفاض الشاعر في ذكر خبر ابن إسحاقٍ ومآله إن مات أو عاش، عقّب بذكر الأعداء جملة، وذكر هذا اليوم العظيم الذي قُتّل فيه الأعداء تقتيلا، فقال:

١٥- أنحى الزمانُ على الأعداء واجتهدت في قَطعِ خضراتِهم أحداثُهُ السوُدُ

هذا البيت تفصيل لأول أبيات القصيدة، الذي جعل فيه الشاعرُ الدهر من جنود المنصور يمتثل لأوامره، فهو هنا يبين كيف كان هذا الامتثال، فيقول: (أنحى الزمان على الأعداء)، استعارة مكنية شخصت الزمان وجعلته يُقبل على الأعداء ويُقتّلهم، ثم جعل الشاعر أحداث الزمان معينة له تتتبع الأعداء فلا تترك لهم نبتًا جديدًا يستلزم حصادًا فيما بعد، فقال (واجتهدت) تشخيصًا لها وتأكيدًا على أنّ ما فعلته كان عن إرادةٍ ووعي تام، (في قطع خضراتهم أحداثه السودُ)، ولا شكّ في أنّ ممازجة الألوان في قوله (خضراتهم .. السودُ) أضفى على الاستعارة جمالاً ووضوحًا، ومعلومٌ أنّ «مهام الشاعر الأساسية هي إفعام الاستعارة بالحياة والنشاط، وجعلها أكثر إدراكًا ووضوحًا»[1].

---

(١) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث: الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس: أستاذ البلاغة والنقد بجامعة اليرموك، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٧.

١٦- ونازَعَتهُم سيوف الهندِ أنفُسهُم فلم يُفِدهِم عن الهَيجاءِ تَعريدُ

بدأ الشاعر هذا البيت بالاستعارة المكنية في قوله (ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم)والتي فيها تشخيصٌ للسيوف وإثباتٌ لإرادتها في تنفيذ القتل، وجدير بالذكر أن الفعل (نازع) من الأفعال التي تقتضي المشاركة، فبيّن أنّ الأعداء لم يكن منهم إلا الحرص على سلامة أرواحهم من هذه السيوف، ولذلك قال: (فلم يفدهم عن الهيجاء تعريدُ)، فهم لم يقاتلوا وإنما كان همهم الهروب، وتقديم الجار والمجرور على الفاعل أفاد التشويق لذكره، وتنكير الفاعل (تعريد) للتنويع، فهو يريد أنّ كلّ هروبٍ مهما كان فإنه غير نافع، وإلا فقد نفع ابن إسحاق هروبه.

١٧- فهم على الترب صرعى مثله عددا إن كان يُقضَى بأنَّ التُرَبَ مَعدُودُ

جاءت الفاء بومضتها الخاطفة لتبين كيف أسرعت السيوف في صرع الأعداء وإن حاولوا الهروب، (فهم على الترب صرعى)، وجاء الجار والمجرور (على الترب) متقدمًا على الخبر (صرعى)؛ ليوحي بأنهما خبران مختلفان، فيوهم الأول أنهم منبطحون على التراب مستسلمون، ثم يأتي الآخر فيبين أنهم جثث هامدة، ثم ساق خبرًا ثالثًا هو قوله: (مثله عددًا) كناية عن كثرتهم، ولكن التراب لا يمكن أن يُعدّ، ولذا احترس الشاعر عن الاعتراض بقوله (إن كان يقضى بأن الترب معدود).

١٨- وَلَّوا فلا صاحبٌ عن نَفس صاحِبِه يُغنِي ولا والدٌ يَرجُوهُ مَولُودُ

وليبرز الشاعر صورة هذا اليوم الذي تفرّق فيه الأعداء وتمزّقوا، شبهه بيوم القيامة، مقتبسًا هذا المعنى من قوله تعالى :﴿ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡما لَّا يَجۡزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ ﴾[1]، ليصوّر الهلع والرعب الذي أصاب الأعداء، وليبشّرهم بما ينالونه يوم القيامة.

(١) من الآية: ٣٣، سورة لقمان.

١٩- يومٌ جديـــرٌ بتعظيمِ الأنـــامِ لَـــهُ فَمَا يقاسُ بِهِ فِي حسنِهِ عِيـــــدُ

٢٠- أَضحَت علىٰ فضلِـــه الأيَّامُ تحســـدُهُ إنَّ النَّبيهَ الرفيعَ القَدرِ مَحســـودُ

٢١- إذا حـمىٰ الأســـد الـغضبانُ رابـــيةً لم يفترس ثعلبٌ فيها ولا سِيـــدُ[1].

ولمّا أظهر الشاعر صورة الأعداء في حالة تشبه حالة الكافرين يوم القيامة، رجع يصف فضل هذا اليوم على الأيام جميعًا، فقال: (يومٌ جديرٌ بتعظيم الأنام له)، إذ هو شبيه بيوم القيامة، فحذف المسند إليه مع أنه لم يذكره من قبل، ولكن القرينة وطلب الإسراع إلى الغرض جعل الشاعر يعدل عن ذكره، فلم يقل (هذا يوم) أو (هو يوم)، وقال: (بتعظيم الأنام) ولم يقل: (بتعظيم المسلمين) أو(بتعظيمنا)؛ ليدل على خطر أولئك الأعداء، وأن استئصال شأفتهم كان خيرًا على الأنام جميعًا؛ ولذلك قال: (فما يقاس به في حسنه عيدُ)، وإذا كانت الأعياد هي أفضل الأيام عند الناس جميعًا لأنّها تكثر فيها الفرحة، فقد فاقها هذا اليوم العظيم، بل لا ينبغي أن تقاس به الأعياد، وتنكير كلمة (عيد) هنا للتعظيم، فإن أي عيدٍ مهما بلغ من الحسن فهذا اليوم أفضل منه.

ولما كان هذا اليوم جديرًا بالتعظيم والتقدير، (أضحت على فضله الأيام تحسده)، جاءت هذه الاستعارة لتبث الحياة في الأيام وتجعلها تتحاسد، تعريضًا بالملوك في عهد المنصور؛ لأنّه إذا كانت الأيام تحسد هذا اليوم فأولى أن تحسد الملوك الخليفة المنصور على فضله، يدلّ على ذلك قوله (إن النبيه الرفيع القدر محسود)، وقد ربط بين الجملتين وأكّد بإنّ التي لا يصلح مكانها إلا الفاء التي تدلّ على السبب، ليشير إلى أن هذا الأمر أمرٌ محتوم عليه جبلة الخلائق، ولذلك أتى بالخبر (محسود) اسمًا للدلالة على أن هذا الأمر ثابت في كل زمان ومكان.

---

(١) سيد: السِّيدُ: الذئب، وربما سمي به الأسد.

ولذا قال بعدها: (إذا حمى الأسد الغضبانُ.....)، فقد بنى الشاعر هذا البيت على التشبيه التمثيلي الضمني الذي سمّاه الامام عبد القاهر الجرجاني "التمثيل في أعقاب المعاني"؛ حيث شبه الشاعر حال الملك الممدوح وقد بسط نفوذه وملكه على كل مكان في مملكته، فما عاد يطمع فيها أحد بحال الأسد الغضبان الذي بسط نفوذه على رابية فما عاد يطمع أي وحش في افتراس أي فريسة منها، ولو كان ثعلبا ،أو ذئبا، فلا نصيب لأحد من تلك الوحوش مهما بلغ قوتها .

وفي وصف الأسد " بالغضبان " دلالة على شدة تحفزه واستعداده للانقضاض على خصومه.

وجاء التشبيه هنا في صورة الشرط بـ(إذا)؛ للإشارة إلى تحققه والقطع بوقوعه.

المحور الرابع

" مدح الخليفة والدعاء له

٢١- أَنْتُم سُلَيْمَانُ فِي الْمُلْكِ الْعَظِـــيمِ وَفِي ... طُولِ التَّهَجُّدِ فِي الْمِحْـــرَابِ دَاوُدُ

٢٢- قَدْ أَبْهَجَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا مَقَامُكُـــــمُ ... وَكَيْفَ لَا وَهوَ عِنْـــدَ اللهِ مَحْمُـــودُ

٢٣- جَارَىٰ مَنَاقِبكُم شِعْرِي فَقَصَّرَ عَـــن ... بُلُـــوغِ أَدْنَىٰ مَدَاهَا وَهُوَ مَجْهُـــودُ

٢٤- مَنْ لَيْسَ مُعْتَقِدًا إِيجَابَ طَاعَتِكُـــــمُ ... فَلَيْسَ يُغْنِيهِ إِيمَـــانٌ وَتَوْحِيـــدُ

٢٥- رِضَاكُمُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا وَعَدْلُكُـــــمُ ... ظِلٌّ ظَلِيلٌ عَلَىٰ الأَيَّامِ مَمْـــــدُودُ

٢٦- دُمْتُم حَيَاةً مَدَىٰ الدُّنيَا وَدَامَ لَكُـــمُ ... نَصْـــرٌ وَفَتْحٌ وَتَمْكِينٌ وَتَأْيِيـــدُ

وبعدَ أن عرّض الشاعر بحسد الملوك للمنصور بذكر اليوم الذي انتصر فيه على الأعداء انتصارًا عظيمًا، خلَص إلى مدح الملك وبيان فضله على أولئك الملوك الحاسدين، فقال:

٢٠- أنتم سليمانُ في المُلكِ العظيم وفي ... طولِ التَهَجُّدِ في المحرابِ داوودُ

وزيادة في التعظيم خاطب الخليفة بصورة الجمع فقال:(أنتم سليمان في الملك العظيم) بهذا التشبيه المفصل الذي ذكر فيه وجه الشبه (في الملك العظيم)؛ لأنه يريد أن يشبهه تشبيهًا آخر، فقال: (وفي طول التهجد في المحراب داوود)، فأخذ من كلا النبيين وجه الشبه المناسب، مع أن كليهما كان ذا ملك عظيم، وكلاهما كان كثير التعبّد لربّه، وإنما أخذ بالأشهر(١).

٢٢- قد أبهج الدينَ والدنيا مقامُكُمُ ... وكيفَ لا؟ وَهوَ عند اللَهِ محمودُ

صاغ الشاعر المعنى بطريق الجملة الفعلية، واختار لها الفعل الماضي (أبهج) لتأكيد الحدث، واختار البهجة عن الفرحة إشعارًا ببهجة العيد التي ذكرها آنفًا، وصدّره بـ(قد) زيادة في التوكيد، ثمّ قدّم المفعول (الدين) على الفاعل (مقامكم)؛ تشويقًا لذكر

---

(١) ينظر في هذه المسألة كتاب: الحيوان، للجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ، ٣٨٠/٢.

الفاعل، وعطف (الدنيا) على (الدين) تأكيدًا على التشبيهين السابقين وحرصًا على دفع التوهّم، فقد يظنّ البعض أنه مبهج للدين فقط، وقدّم (الدّين) على (الدنيا) لأنّه الأهمّ.

ثم أتى بالاستفهام الإنكاري (وكيف لا؟) مستعملاً اسم الاستفهام (كيف) على طريقته؛ ليحث النفس على تتبع الطرق الموصلة إلى جواز النفي، ثم حذف الفعل المنفي بـ (لا) للدلالة عليه، وأتى بجملة الحال (وهو عند الله محمود) حرصًا منه على تأكيد الإنكار الذي ساقه بالاستفهام السابق؛ لأنه ليس أمرًا بديهيًّا يقره جميع الناس، وقد اقتبس هذا المعنى من قول الحق سبحانه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ (١)

٢٣- جارى مناقِبكُم شِعري فَقَصَّرَ عن بلوغ أدنى مداها وَهوَ مجهودُ

قوله: (جارى مناقبكم شعري) استعارة مكنية شبّه فيها الشعر والمناقب باثنين يتجاريان، كأنهما فرسا رهان، فأظهرت كيف كان الشاعر حريصًا على أن يوفي الممدوح حقه ولكنه لم يستطع (فقصّر عن بلوغ أدنى مداها)، وفي ذلك دليل على أن مناقب الممدوح لا يمكن للشعر أن يحيط بها، (وهو مجهود)، هذه الجملة دفعٌ لتوهم أن التقصير كان من قبل الشاعر، فقد بلغ أقصى جهده ولكن مناقب الممدوح لا يمكن لشاعرٍ مهما أجاد أن يذكرها جميعًا في شعره، وفي هذا مبالغة وغلوٌّ في المدح، ولكنه مقبول من حيث إنه مردودٌ لظنّ الشاعر.

٢٤- مَن ليس مُعتَقِدا إيجابَ طاعَتكُمُ فليسَ يُغنيهِ إيمانٌ وتوحيدُ

ولما كان الممدوح قد بلغ الكمال حتى أبهج الدين والدنيا مقامه الذي هو عند الله محمود، وكانت صفاته عظيمة بحيث لا يحدّها الشعر مهما بلغ الغاية في الإتقان

(١) من الآية: ٧٩، سورة الإسراء

والتجويد، كان لزامًا أن يكون هو الإمام الحق الذي يجب أن يُتّبع، ولذلك قال الشاعر هذا البيت مصدرًا إياه بـ(مَنْ) الموصولة التي تتضمن معنى الشر؛ لعمومها وإبهامها، فأفاد عموم الحكم واتساعه وصلاحيته لكل من يقع عليه الخبر، وأدخل "الفاء" على الخبر كما تدخل على جواب الشرط(فليس...) تأكيدًا على هذا الحكم؛ فهذه الفاء بمنزلة لام التوطئة في إيذانها بما أراده المتكلم من معنى القسم، وقوله: (ليس معتقدًا إيجاب طاعتكم)، تعريضٌ بالأعداء، وبيان لأنّ طاعة الحاكم من تمام العقيدة، ولذلك قال: (فليس يغنيه إيمانٌ وتوحيدُ)، وقد نكّر الكلمتين (إيمان وتوحيد) للعموم، أي فليس يغنيه أي إيمانٍ مهما كان؛ لأنه اعتقد ما ينقض هذا الإيمان.

٢٥- رضاكُمُ الدينُ والدنيا وعدلُكُمُ ظلٌّ ظليلٌ على الأيامِ ممدودُ

وقد فصل هذا البيت عن سابقه؛ لأنه بيان وتفصيل له، (رضاكم الدين والدنيا) قصر نوال الدين والدنيا على رضا الممدوح بطريق تعريف الطرفين قصرًا حقيقيًّا ادعائيًّا، وقدّم (الدين) على (الدنيا)؛ لأهميته، ثم عطف عليه جملة (وعدلكم ظل..) ترغيبًا في القرب من الممدوح واتباعه، ثم شبّه هذا العدل بالظّلّ؛ ليدلّ على الشمول والسعة، وهو تشبيه بديع جمع فيه بين المتباعدين فزاد الصورة حسنًا؛ لأنه «عندما يوضع شيئان مع بعضهما بعيدين أصلاً، فإن الانفعال المتولد يكون أكبر» [(١)]، ونعت الظل بأنه (ظليلٌ) تأكيدًا لنفعه، ثم قال (على الأيام ممدود) كناية عن فتوحات المنصور وتبشيرًا بها.

٢٦- دُمتُم حَيَاةً بنى الدُنيا ودامَ لَكُمُ نَصرٌ وفتحٌ وتَمكينٌ وتَأييدُ

ويختم الجراوي قصيدته بالدعاء للخليفة (دمتم حياة بني الدنيا) وهي حينئذٍ لها معنيان، الأول: أن تكون (حياة) ظرفًا، فيكون المعنى أنه يدعو للممدوح بالبقاء إلى آخر الزمان، والثاني: أن تكون (حياة) حالاً لفاعل (دام) فيكون المعنى أنه يدعو له

(١) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث: الأبعاد المعرفية والجمالية، ص١١.

بأن يظل حياةً للناس؛ لأنهم في عهده في رخاءٍ وسرور، وحينئذٍ يكون قد جمع بين الكناية (بني الدنيا) كناية عن البشر، والتشبيه (دمتم حياة) حيث شبّه الممدوح بالحياة، لأنه كان سببًا لها بانتصاره وفتوحاته وعدله على جميع الناس.

ثم يدعو للممدوح بدوام النصر والفتح والتمكين والتأييد، رتبها ترتيب أحداث، فالنصر يعقبه الفتح ثم التمكين ثم التأييد، وأتى بكلّ منها نكرة؛ للتفخيم والتعظيم.

والبيت يعد خاتمة جيدة من الشاعر، وموفقة في مقام المدح لأنها تجعل نفس السامع تدرك قدر الممدوحين .

بين يدي الوزن والقافية

اختار الشاعر لهذه القصيدة بحر البسيط اختيارًا موفّقًا؛ لأنّها مرتبطة بمعاني التهديد والوعيد والتفخيم والتعظيم، ومعلوم كما أسلفت أن بحر البسيط يتناسب مع هذه المعاني، ولكن الشاعر في هذه القصيدة زاد عليها كثيرًا من الوصف والقصص، «وبما أن الوصف والقصص مما يغلب فيهما جانب الخبر على الإنشاء، فإن البسيط يتطلب منهما أنواعًا خاصة، وإلا فإنهما لا يستقيمان فيه ولا يصلحان له»[١]، فـ«القصص الذي يستقيم في البسيط هو ما يكون فيه لون من عنف أو لين»[٢]، وقد ظهر ذلك جليًّا في هذه القصيدة، فقد ساق الشاعر خبر ابن إسحاقٍ وهو ناقم عليه فجاء القصص محملاً بألوان العنف التي تتناسب مع نغم البسيط، « ولإحساس الشعراء بما في رنة البسيط من ملاءمة العنف، وبما بمجراه من الكلام الصارخ الجهير، تجدهم فيه قد أكثروا من قصائد التحريض والعتاب والهجاء المقرّع.. والقصائد الجياد الطنانة التي وردت في هذا المعنى أكثر مما جاء من نظائرها في غيره، وأقوى »[٣]، أما عن المدح فقد جاء في صورة التفخيم التي تنسجم مع هذا النغم أيضًا، فإن مدائح البسيط «تعمد إلى التفخيم، تحمُّ حَمّ الخطابة»[٤]، وبدا فيها كيف كان الشاعر صادقًا في مدحه وإن كان فيه بعض الغلوّ، «وإذا كان المدح خالصًا .. رأيت الفخامة وعنصر القوة يغلب عليه»[٥].

ومما هو جدير بالذكر أن التفعيلات المزاحفة في هذه القصيدة قليلة بالنسبة إلى غيرها، فإذا كان الخبن في (مستفعلن) في بحر البسيط يندر وقوعه إلا في أوائل الأشطر، وكان « وقوعه في أول الشطر حسنًا جميلاً تميل إليه الأسماع ولا تنفر

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٥٠٨/١.
(٢) السابق ٥٠٩/١.
(٣) السابق ٥٢٧/١.
(٤) السابق ٥٢٥/١.
(٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٥٢٦/١.

منه»[١] ، فغريبٌ ألا يحدث الخبن إلا في ست عشرة تفعيلة مقابل اثنتين وثلاثين لم تزاحف قط، أي إن نسبة (مستفعلن) المخبونة في أوائل الأشطر تعادل ثلث القصيدة.

وإذا كان زحاف الخبن لا يقع في (مستفعلن) إلا في أوائل الأشطر، فإنه في (فاعلن) كثير الوقوع في ثنايا القصيدة، ولكنه في هذه القصيدة قليل، فما جاءت مخبونة إلا في إحدى وعشرين مرة في مقابل سبع وعشرين مرة لم تخبن فيها، وإن دلّ ذلك فإنّما يدلّ على أن الشاعر كان حريصًا على استقصاء المعاني كما قال (جارى مناقبكم شعري .. البيت)، وهذا دليل واضح على أن نغم القصيدة لم يأت اتفاقًا، وإنما عن قصدٍ من الشاعر وتعمد.

أما عن القافية، «فالقافية ترنيمة إيقاعية خارجية، تضيف إلى الرصيد الوزني طاقة جديدة، وتعطيه نبرًا، وقوة جرس، يصب فيها الشاعر دفقه، حتى إذا استعاد قوة نفسه بدأ من جديد، كمن يجري إلى شوط محدد، حتى إذا بلغه، استراح قليلاً لينطلق من جديد»[٢]، «فالقصيدة العربية تنهج وزنًا واحدًا، متحدًا بنغماته وألحانه، لا تجافيها، ولا تندّ عنها، وتختمها بإيقاع مترنم ينهي وحدة البيت؛ ليفسح لبيت آخر يليه، يصبُّ فيها الشاعر أنفاسه ، أنغامًا موقعة بحساب»[٣].

واختيار الشاعر لحرف الدال المضموم رويًّا كان اختيارًا موفقًا أيضًا، لأنّ الدال من الأصوات الشديدة المجهورة، يتناسب مع معاني الشدة والعنف التي أراد الشاعر أن يظهرها من خلال نغم البسيط، وقد ساعد على إظهارها اختيار الواو والياء ردفًا،

---

(١) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٥٢م، ص٧١.

(٢) الإيقاع في الشعر العربي، عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد للنشر والتوزيع – دمشق – برامكة، ط١، ١٩٨٩م، ص٧١.

(٣) الإيقاع في الشعر العربي، ص٤١.

و«هما من الأصوات المتوسطة، وكلاهما مجهور، لكنهما يختلفان في المخرج، فالواو طبقية والياء غارية، ويكثر ظهورهما أن يكونا نقطة إغلاق في نهاية مقطع، أو معبرًا لصوتٍ تالٍ لهما»(١)، فأحدث الاختلاف بينهما نوعًا من التمويج الذي يناسب حالة الحرب، وبذلك استطاع الشاعر أن يطوّع نغم الشعر؛ لإظهار مقاصده ، «وعلى الرغم من أن اللغة ذات طابع اجتماعي، فإنها تصبح بين يدي الشاعر أداة خاصة، تتسم بالتفرد والخصوصية؛ لأنها تصبح ملكًا له، يعجنها وينضجها، فإذا هي ذات علاقات جديدة وإيحاءات واسعة؛ لأنها تحمل نفحات روحه وحرارة أنفاسه، وتصدر عن صميم تجربته»(٢) .

(١) إتباع الإيقاع في اللغة العربية: مقاربة السنية في حركية اللغة، عبد الحميد الاقطش، مستلة من أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات" المجلد١٢، العدد٢، ١٩٩٤م، ص١٥٦.

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص١٢١ .

الخاتمة

وبعد هذا العرض والتحليل الذي حاول الباحث من خلاله قراءة تلك القصيدة قراءة متأنية لتحليل مكوناتها اللغوية ومعرفة ما يختبئ وراءها من أسرار بلاغية يمكن الوقوف على أهم الأمور التي من أهمها:

(١)اشتمال القصيدة على حسن الإبتداء من خلالا الافتتاح بما يدل علي مضمون القصيدة كلها، وكذلك حسن الانتهاء من خلال الدعاء للممدوح بدوام النصر والفتح والتمكين.

(٢)أن الجرّاوى يختار ألفاظه بدقة وعناية ، ويستخدمها الاستخدام الأمثل لها .

(٣)الترابط بين معاني القصيدة، حيث استطاع الشاعر أن ينتقل بين معانيها ومحاورها بسهولة ويسر دون أن يشعر المخاطب، بل جعلها في غاية التلاحم عن طريق حسن التخلص بينها .

(٤)كان للتصوير البياني دور بارز في تشخيص وتجسيد المعاني لاسيما الاستعارات والتشبيهات.

(٥)تمكن الجرّاوى من أداته اللغوية جعله قادراً على صوغ المعنى الذي يريده في أكثر من قالب لفظي مع تشابه القالب التركيبي، وتكرر ذلك في أكثر من موضع في القصيدة.

(٦)الجراوى متمكن من صنعته الشعرية حيث إن الصياغة التركيبة للألفاظ تنم عن شاعر ماهر حاذق يزن الكلام بميزان الذهب.

(٧)كان الجراوي كلفا بالتمثيل في أعقاب المعاني، مما يدل على عنايته بتقريب فكرته، ووضعها في أفضل صورة حتى تمس شغاف قلب السامع وتقع من نفسه أحسن موقع.

(٨)كانت تراكيب الشاعر محكمة مترابطة، وتسلسلت معانيه بشكل منسجم، فكان كل تركيب يُسلم إلى ما بعده دون نبو أو خلل.

(٩)إن الجراوي شاعر عظيم القدر، وقد ضاع كثير من شعره ، ولو جاءنا شعره كاملا لجاءنا علم وأدب عظيم؛ ولكن يد الدهر امتدت إليه كما امتدت إلى كثير من تراث أدبائنا وشعرائنا القدامى .

وبعد :

فإني أسأل الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل ودراسة تلك القصيدة دراسة بلاغية ، ووفقت في التوصل إلى أسباب تقديم عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – لقائلها على غيره من الشعراء، وأسأله جل شأنه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما أسأله سبحانه الخير كل الخير لآبائنا، وأمهاتنا، وإخواننا، وأخواتنا، وأساتذتنا، ومعلمينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا وجميع من لهم حق علينا إنه سميع قريب مجيب.

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –

(الفهارس)

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

١- إتباع الإيقاع في اللغة العربية: مقاربة السنية في حركية اللغة، عبد الحميد الاقطش، مستلة من أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات" المجلد١٢، العدد٢، ١٩٩٤م.

٢- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث: الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس: أستاذ البلاغة والنقد بجامعة اليرموك، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ط١، ١٩٩٧م.

٣- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي،، د/ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي- حلب- الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٤- إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٥- الإيقاع في الشعر العربي، عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد للنشر والتوزيع – دمشق – برامكة، ط١، ١٩٨٩م.

٦- تأملات حول مفاهيم مصطلحات وخطة الوقاية من المخاطر الطبيعية في التراث العمراني الإسلامي، نجاة أحمد عروة، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية، دبي، السنة ١٩، العدد ٧٣، ربيع الآخر ١٤٣٢هـ - مارس ٢٠١١م.

٧- التحرير والتنوير تأليف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م..

٨- التشويق فى الحديث النبوي الشريفد/ بسيونى فيود،مطبعة الحسين الاسلامية.

٩- تفسير جديد لأزمنة الفعل عند سيبويه، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – مصر، دار المدني – جدة، د.ط، ١٩٨٧.

١٠- الحيوان، للجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

١١- دلائل الإعجاز، ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق/ محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٢- ديوان الجراوي.

١٣- ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت– لبنان.

١٤- الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف/ محمد بن عبد المنعم الجميري تـ٩٠٠هـ تحقيق/ إحسان عباس، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

١٥- الشاعر والقصيدة: حوار مع الشاعر التونسي منصف المزْغَنّي، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية (دراسات سال)، العدد الخامس – خريف – شتاء ١٩٩١م، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء – المغرب.

١٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م.

١٧- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.

١٨- شعر البحتري: دراسة فنية، د. خليفة الوقيّان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

١٩- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر .

٢٠- عن الشعر في زمن اللا شعر، د. رشيد بنحدو، يصدر عن مجلة دبي الثقافية، الإصدار ١٤٣، دار الصدى للصحافة والنشر، ط١، فبراير ٢٠١٦م.

٢١- القوس العذراء وقراءة التراث، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٨٣م.

٢٢- كتاب المديح لسامى الدهان، دار العارف ، الطبعة الخامسة ١٩٥٢ .

٢٣- الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة الخامسة١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢٤- الكشاف، عن عوامل حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجود التأويل، للعلامة جار الله الزمخشري ابى القاسم الزمخشري ،تحقيق الشيخ /عادل احمد عبدالموجود والشيخ على محمد معوض والدكتور/ فتحي عبدالرحمن حجازي ط١ ١٤١٨هـ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان.

٢٥- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٦- مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد ، دار العودة – بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٢٧- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٥٢م.

٢٨- نقد الشعر لابى الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى دار الكتب العلمية بيروت .

ثالثاً : فهرس الموضوعات

الموضــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢٩٢٥
التمهيد	٢٩٣٠
عرض القصيدة	٢٩٣٣
مناسبة القصيدة	٢٩٣٥
المحور الأول :- الدهر من جنود الخليفة	٢٩٣٧
المحور الثاني:- خبر ابن إسحاق.	٢٩٤٢
المحور الثالث:- يوم عظيم.	٢٩٥٣
المحور الرابع:- مدح الخليفة والدعاء له.	٢٩٥٨
بين يدي الوزن والقافية	٢٩٦٣
الخاتمة	٢٩٦٧
فهرس المصادر والمراجع	٢٩٦٩
فهرس الموضوعات	٢٩٧٢